رحيل

زهراب كيشيشيان... غابت بهجة اللون

نيكول يونس

رحل الفنّان زهراب كيشيشيان بصمت واضعاً اللمسة الأخيرة في اللوحة. غاب زهراب، فانسحبت بهجة اللون بهدوء، كما تغيب الشمس. لكنه ترك دفء أشعته إلى الأبد في قلب تاريخ الفن التشكيلي اللبناني والأرمني والعربي، عبر لوحات اتخذت مكانها الذي تستحق: في «متحف سان لازارو» في إيطالياً، في «المتحف الوطني السوري»، في القصر الرئاسي» في قبرص، في الولايات المتحدة، في البرازيل، وفرنسا.. ومختلف كنائس الأرمن في العالم، والصروح العلمية والدينية في لبنان. وهكذا سيبقى زهراب نوراً من لون وفرحاً من لوحات.

منذ الخامسة من عمره، بدأ بالرسم، فأقام معرضه الأول في حلب بعدما أتم الـ 12 من عمره، وتفتّح وعيه على ألم المجزرة الأرمنية. «أرمينيا تسري في عروقنا كما يسري الفن في عروقي!» قالها مراراً وقد توّجها في معرضه الأخير الذي أقيم في أيار (مايو) 2016 في «غاليري إكزود» (مار مخايل) تحت عنوان turning turning turning.

رغم كل هذا الألم، إلا أنّه ظلّ يشع أملاً. «أحبّ الرسم والتلوين! هناك ألوان، هناك خطوط. هناك روح! وإن غابت الروح، غاب كل شيء» على حد تعبيره في إحدى مقابلاته الصحافية. روح بثّها في كل ما رسم، وغمّسها بالضوء مع ريشته، ثم تركها أثراً لن يموت على لوحاته الممتلئة بالحب، والأمل، والموسيقى والحياة من دون أن ينسى التأريخ، ولو كان تأريخ لحظة.

شكّل بالمائيات، رسم بالقلم، ألّف بالزيتيات. لم يترك مادة في عالم التلوين، إلا واستخدمها ليمطر الدنيا بألوانه. لم يأخذ زاوية أحادية في الهوايات البصرية، بل سال كالساقية بين كل المدارس، حاملاً معه من كلها بعض الماء. مرّ بالمدرسة التصويرية ثم الرمزية ثم التجريدية ثم الغنائية وغيرها ولم يعرف الاستقرار. ظل الجدول الزهرابي سارياً حتى الأمس. وللمناسبة، اسم زهراب يعني

> مرّ بالمدرسة التصويرية ثم الرمزية فالتجريدية والغنائية

«جدول الآلهة» وفق ما كان يشرح للسائلين.

وهذا الجدول الساري خلق لدى زهراب «باليت» لونية غنية حدّ الفيض، وصادقة حد الادهاش! إمكانيات تناغم اللون التي يطرحها زهراب في كل لوحة على حدة، لا تدل إلا على عالم ضوء وذواقة قيم لونية. قد لا يتفق معه المرء في تأليفاته، وربما لن يتمكن البعض من اللحاق بفيض أحاسيسه أو ينغمس في حالاته، لكنّ المؤكد أنك ستسحر مع بداية دخولك عالم لوحاته الضخم... كوكب «زهراب» اللوني. ومن المؤكد أيضاً أنّ من يدخل عالم زهراب ولو بحشرية، لن يخرج منه كما دخله في المرة الأولى. والمرور العابر بلوحات زهراب خطأ، إن لم يكن إجحافاً. ومن أعطاها حقها كسب، وسار مع ترنيمة جدوله الفني.

في الزيت، في الغواش، في المائيات، في الحبر، في الوجوه التي يرسمها في الأزهار في الاشكال، في الراقصات، في الامهات، في الرفيقات... هنا زهراب يذكرك برونوار، وهناك يذكرك بأوديلون رودون، وحيناً ببول كلي، وأحياناً بفان غوغ! لكنه كان يحبّ تيسيان ورافاييل و بيكاسو كما أفصح في مقابلاته العديدة. رسم الناس، رسم الطبيعة الصامتة، والمناظر الطبيعة، والحب، والأمومة، والآلة، والأبطال، والمسيح، رسم الضوء.. ورسم الفن!

قل لنا يا زهراب كيف المرور بكل هذه المدارس والمحافظة على هذا النقاء؟ كيف تصل إلى البحر بلا تلوث؟ اركض بسلام الشجعان، اركض بسلام المغيب، اركض بهدوء اللمسة الأخيرة للوحة.

* يصلى لراحة نفسه عند الثانية من بعد ظهر غد الخميس في كنيسة بطريركية الأرمن الارثوذكس في منطقة انطلياس، على أن يوارى الثرى في مدفن العائلة في برج حمود.
تقبل التعازي بعد الدفن في صالون مطرانية الارمن الأرثوذكس (برج حمود) لغاية السابعة مساء، ويومي الجمعة والسبت ابتداءً من الحادية عشرة قبل الظهر، لغاية السابعة مساءً.

فوتوغرافيا

«صورة وحكاية» امتدت جسراً إلى الآخر

زينب حاوي

على جدران قاعة «مسرح المدينة»، صور فوتوغرافية، مرفقة بنصوص شخصية وانطباعية: اللجوء الفلسطيني والسوري بكل واقعيته وقساوته، عمالة الأطفال، قصص الحب والشيخوخة، والأمل... سلسلة قضايا أرّخها 74 شاباً/ة من أعمار تراوح بين 14 و18 عاماً، من أربع جنسيات: لبنانية، عراقية، فلسطينية، وسورية. التقت هذه العناصر العمرية والثقافية مع بعضها طوال عام، لتنتج معرضاً فوتوغرافياً ومشروعاً بعنوان «صورة وحكاية». المعرض الذي افتتحه «دار المصور» أخيراً، هو نتاج مشترك بين جمعية «مهرجان الصورة - ذاكرة»، و«اليونسيف»، يهدف إلى إشراك هذه الشرائح، لا سيما المهمشة، التي عاشت واقع التهجير والصراعات الطائفية في بلادها، من أجل بناء جسور مع الآخر.

في يوم الافتتاح، عُرض فيلم قصير (إخراج جنان داغر) يعرّف بأبرز المراحل التي مرّ بها هؤلاء المتدربون/ات، من التصوير الفوتوغرافي إلى تعلّم كتابة الخبر، وصولاً الى اكتساب مهارات النشر على صفحات التواصل الاجتماعي. حوى فيلم شهادات سريعة للمشاركين/ات، الذي أعربوا عن فرحتهم بامتلاك مهنة اليوم، ومساحة للتعبير عن محيطهم وما يدور في خاطرهم. إلى جانب هذه السعادة بامتلاك الكاميرا، خرجت آراء قد تكون كافية، لتشكّل أرضية مشتركة بين الجنسيات العربية المختلفة التي صُنعت في ما بينها حواجز وأحكاماً مسبقة، لا سيما في المجتمع اللبناني. لم يستطع هؤلاء إلا تصوير زوايا قاسية، يعانيها النازحون السوريون والفلسطينيون في لبنان، معيشية كانت أو اقتصادية. مرّر المتدربون/ات، عبر عدساتهم، صرخة في وجه من يلزم طفلاً أو شاباً هزيلاً بالعمل الشاق. مثلاً، قامت سارة قهوجي (17 عاماً) الآتية من منطقة الأشرفية بزيارة مخيم شاتيلا. هناك، احتكت عن قرب بواقع اللاجئين/ات الفلسطينيين المحاصرين بأشرطة الموت (الكهرباء)، الذين يعيشون منذ سنوات ظروفاً لا إنسانية. إلى جانب قهوجي، شهادة من شابتين لبنانيتين تشكوان من الضخ الهائل للعنصرية ضد السوري في مدرستهما إلى درجة «أننا نصير عنصريين بلا وعي بسبب تكرار عبارة: سوريا كلها صارت بلبنان» وفق ما قالتا.

يختصر مشروع «صورة وحكاية»، الذي أتى بعد مشاريع عدة مشابهة من «لحظة1» الى «ما بعد اللحظة»، و«لحظة 2»، وغيرها، الدمامل المرضية التي تتخبط فيها المجتمعات، ويمهد لكسر الهواجس الاجتماعية، والانفتاح على الآخر المختلف، الذي يعاني بعضه من أزمات تفرزها الحرب والاستقطاب الدعائي للجماعات الإرهابية.

رئيس جمعية «مهرجان الصورة-ذاكرة» المصوّر رمزي حيدر، يعطي أولوية الى التفاعل الإنساني الذي أفرزه هذا المشروع، إذ تحول المتدربون/ات الى أصدقاء، ونشأت في ما بينهم علاقات وطيدة، استمرت حتى بعد انتهاء المشروع. في مقابلة مع «الأخبار»، يصب حيدر اهتمامه على هذه الشرائح الشبابية، ليضحوا مستقبلاً «صحافيين»، بالمعنى الحديث للكلمة: يملكون كاميرا، ويعرفون كيفية كتابة قصة قصيرة مرفقة بالصورة، ونشرها على المنصات الافتراضية. إذاً هي عملية متكاملة تدمج العلاقة الإنسانية، بالتمكين الفردي والجماعي لهؤلاء الذين يحملون قضايا حياتية وإنسانية، ويخرجون واقعهم القاسي الى الملأ، ليختبروا التفاعل مع الآخر، ويكونوا في منأى عن صراعات بلادهم، وتأثيرها المباشر عليهم، لا سيما على صعيد استقطاب الجماعات الإرهابية لهذه الفئة العمرية. يأمل المصور المخضرم أن يصار الى تعميم هذه الأهداف، وتشبيك الجمعيات الأهلية وطلاب المدارس وحتى الجامعات مع أبطال هذا المشروع، لتكوين مجتمع يقبل الآخر، ويرفض بشكل قاطع أن تمرر حفلات العنصرية والكراهية ضد الآخر أكان في الداخل اللبناني أم في سائر المجتمعات العربية.

* «صورة وحكاية»: حتى 10 شباط (فبراير) ـ «مسرح المدينة» (الحمرا ـ بيروت). للاستعلام: 01/373347

«انتظار» لمصطفى خرنوب